مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

اِسْتِدْعَاءُ القِيَمِ وَالمَوَاضِعِ الحِجَاجِيَّةِ فِي خِطَابِ الإِمَامِ الرِّضَا عليه السلام

عبد الكاظم جبر عبود [1]

[1] جامعة القادسية/ كلية التربية / قسم اللُّغة العربيَّة، العراق؛

mr-abdalKadimjabur@gmail.com

دكتوراه في اللُّغة العربيَّة/ مدرّس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٥/٨/٦	٢٠٢٥/٩/١٠	٢٠٢٥/٩/٣٠

المجلــد (٢٣) العــدد (٣٥)
رَبيع الآخِر ١٤٤٧هـ . أيلول ٢٠٢٥م

DOI: 10.55568/t.v23i35.77-110

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

يستند خطاب الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام إلى استدعاء المشترك، قيمًا ومواضع، وهو ما يعني الاستناد إلى محلِّ اتِّفاق بين طرفي الخطاب، بوصفه اشتراطًا عامًّا، وهذا الاشتراط له سلطة على نفوس متلقِّيه، وقد تجلَّى أيضًا أن "المتلقِّي الكوني" مرتقَب مقصود في خطاب الإمام، حتَّى ولو كان هذا المتلقِّي محتمل الوجود أو نادرًا أو متعذِّرًا، انطلاقًا من مسؤوليَّته الشرعيَّة، وقد استدعى قيمًا دينيَّة وأخرى أخلاقيَّة بصورة واسعة، مدعَّمة بالمواضع، سواء كان محاورًا أم مناظرًا أم مخبرًا، وخطابه يضمر أنموذجًا قيميًّا، وهو تأسيسٌ لحصول هذا الأنموذج أو تكميل لما لم يكتمل منه في الواقع، وهو في الوقت نفسه يضمر حجاج تنفيرٍ من أنموذج معاكس أو مضادٍّ، أو قل: هو حجاج إقصاء لهذا الأنموذج المعاكس الذي قد يكون قاصرًا أو انتهازيًّا. وقد جرت القيم والمواضع المستدعاة، في هذا الخطاب، بقصد التأثير في المتلقِّي؛ إبداءً لقبوله واستحسانه، أو إبداءً لرفضه واستقباحه لها، ومن بعدُ ليس له إلَّا أن يكون مسايرًا للفعل الحجاجيِّ حتَّى نتائجه المتوخَّاة، فيكون مشاركًا فعليًّا في إعادة إنتاجها. وقد انتظم هذا البحث في ثلاثة مباحث، كان المبحث الأوَّل منها نظريًّا، تناول التعالق الكائن بين القيم والمواضع في الدرس الحجاجيِّ، أمَّا الثاني والثالث فكانا في بحث قيم الاستحسان والاستقباح والمواضع الداعمة في خطابه عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: القيم، المواضع، الحجاج، الإمام الرضا عليه السلام.

The Invocation of Values and Argumentative Positions in the Discourse of Imam al-Rida PBUH

Abd al-Kadhim Jabr Aboud [1]

[1] University of Al-Qadisiyah /College of Education / Department of Arabic, Iraq;
mr-abdalKadimjabur@gmail.com
PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
6/8/2025	10/9/2025	30/9/2025

DOI: 10.55568/t.v23i35.77-110 Volume (**23**) Issue (**35**) Rabi' Al-Akhir 1447 AH September 2025 ADD

Abstract:

The discourse of imam Al-Ridha (peace be upon him) is predicated on invoking shared values and argumentative positions. This approach entails constructing arguments based on mutual points of agreement between the discourse participants, serving as a potent and overarching influence on the psyche of the recipient. It is also evident that a "universal recipient" is a targeted and anticipated audience in the discourse of the Imam, even if this recipient is rare, potential, or non-existent, due to his religious obligations. He extensively alludes to religious and ethical values, supported by various positions, whether engaged in dialogue, debate, or merely conveying information. His discourse suggests a value-based model—a foundation for realizing this model or completing what is incomplete in reality. Concurrently, his discourse subtly incorporates an argument of aversion to an opposing or contradictory model, or, in other words, an argument for excluding that opposing model, which

may be flawed. The values and positions this discourse were intended to influence the recipient, eliciting either acceptance and approval or rejection and disapproval. Consequently, the recipient is compelled to engage with the argumentative process until its intended outcomes are realized, thereby becoming an active participant in their reproduction. This research is organized into three sections. The first section is theoretical, addressing the correlation between values and positions in argumentative studies. The second and third sections examine the values of approval and disapproval and the supporting positions in his discourse (peace be upon him).

Keywords: values, positions, arguments, Imam al-Ridha.

المبحث الأوَّل: تعالق القيم والمواضع في الدرس الحجاجيِّ

يُعدُّ الحجاج في جوهره محاولة للإقناع أو التأثير في الآخرين، وغالبًا ما يكون ذلك عبر استغلال ما يؤمن به المتلقِّي من قيم، ولا تقتصر القيم على كونها مُسلَّمات أخلاقيَّة أو دينيَّة أو اجتماعيَّة فحسب، بل هي محاور أساسيَّة تُبنى عليها الحجج وتُوجَّه عمليات الإقناع. إنَّ إقناع شخص ما بأنَّ فكرة معيَّنة "جيدة" أو "صحيحة" يتوقَّف بشكل كبير على قدرة المُحاجِّ على ربطها بقيم يراها المتلقِّي إيجابيَّة، مثل العدالة، الحرِّيَّة، أو الأمن، أو التقدُّم ...إلخ.

تُقدِّم نظريَّة الحجاج الحديثة، التي أسَّسها بيرلمان وتيتيكا إطارًا منهجيًّا لفهم هذه العلاقة بين القيم والحجاج. وقد ميَّزا بين أنواع مختلفة من المواضع الحجاجيَّة، وهي أنماط استدلاليَّة تواضع عليها الناس سلفًا، وتُستخدم في الكلام والخطابات المختلفة لربط الأفكار بالقيم بطريقة مُقنعة مؤثِّرة[١]. ومن هنا كانت هذه الدراسة التي تجمع بين القيم والمواضع، وتُعدُّ هذه المواضع مخازن أو مستودعات للحجج التي يمكن للمُتكلِّم استخدامها لبناء حجَّته، وهو ما يجعلها أدوات حيويَّة في أي خطاب إقناعيٍّ[٢]. وتُمثِّل القيم مرجعيَّة أساسيَّة في أيِّ الكلام ولا سيَّما في النقاش، فهي بمثابة "القاعدة" التي يتمُّ الانطلاق منها للقبول أو الرفض، وإنَّ المتلقِّي لا يقتنع بحجَّة معيَّنة لمجرِّد أنَّها مقبولة، بل لأنَّه يجد فيها انسجامًا مع قيمه ومبادئه، فعندما تُطرح فكرة حول "العدالة"، فإنَّها لا تُناقَش في فراغ، بل تُستدعى مجموعة من القيم المرتبطة بها مثل "المساواة" و"الإنصاف" و"الحقوق"، وهكذا.

والموضع في الأصل مصطلح أرسطيّ، يُراد به المنطلق المشترك، بوصفه مسكوكة منطقيَّة مستنبطة وقواعد عامَّة يُستند إليها في صياغة الحجج في ضمن الخطابة

١ العزاوي, أبو بكر. اللغة والحجاج, ط١ بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة, (٢٠٠٩), ٣٩.

٢ شاييم بيرلمان و لوسي أولبرخت تيتكا, المصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة, ترجمة وتقديم. محمد الولي, ط١ بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة, (٢٠٢٣), ١٨٣.

والجدل، مثل الزمان والسبب والأثر وغيرها، وهو امتداد للمنطق الصوريِّ، إذ كان النظر متوجِّهًا إلى الاستدلال البرهانيِّ، الذي يراد منه إثبات صحَّة قضيَّة، بصورة مطلقة، من دون مراعاة المتلقِّي[٣]، وقد اقترض الدرس الحجاجيّ الحديث، الذي قدَّمه ديكرو وأنسكومبر، الموضعَ، أو لنقل: طوَّره، واتَّجه به اتِّجاهًا آخر، متخفِّفًا من الصرامة المنطقيَّة الأرسطيَّة، ومبقيًا على كون كلِّ خطاب يجري وفاقًا لمجموعة من المبادئ العامَّة التي تسوِّغ النقلة من الحجج إلى النتائج، ولا نريد هنا أن نعيد قول المتابعين للحجاج اللُّغويِّ بأنَّ مفهوم الموضع كان حاضرًا ومرافقًا لمراحل تطوِّر النظريَّة الحجاجيَّة لا ينفكُّ عنها، وأنَّ تجاوزه أو تهميشه في المراحل الأولى من عمر النظريَّة الحديثة كان خطأً فادحًا، وهو ما أدركه أصحاب هذه النظريَّة[٤]. وفي هذا السياق، يرى بيرلمان وتيتيكا أنَّ القيم يمكن أن تُصنَّف إلى[٥]:

١- قيم المجرَّدة: مثل العدالة، الحرِّيَّة، والصدق. هذه القيم لا ترتبط بشيء ماديٍّ، بل هي مبادئ عامَّة يُحتكم إليها.

٢- قيم ملموسة أو محسوسة: مثل الوطن، والمنزل، والمكتبة، والجامعة، والمسجد.

ويستخدم كلّ نوع من هذه القيم في سياق حجاجيٍّ معيَّن، فالحجَّة التي تستند إلى قيمة "الوطن" تكون أكثر فعاليَّة في خطاب سياسيٍّ أو وطنيٍّ، بينما الحجَّة التي تستند إلى "العدالة" يمكن استخدامها في سياقات قانونيَّة أو فلسفيَّة أوسع. بمعنى أنَّ الحجاج يستند، تبعًا لظروف معيَّنة، إلى القيم المجرَّدة تارةً، وإلى القيم المحسوسة تارة أخرى، وقد تتداخل القيم المجرَّدة والمحسوسة، أو أن يكون بعضها يفضي إلى بعض، وأنَّ ثمَّة قيمًا محسوسة تؤسِّس لأخرى مجرَّدة، والعكس

٣ الراضي, رشيد . المظاهر اللغوية للحجاج – مدخل إلى الحجاجيات اللسانية, ط١ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي, (٢٠١٤), ١٨٧.

٤ الراضي, ١٩١-١/ ٩٢.

٥ شاييم بيرلمان و لوسي أولبرخت تيتكا, المصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة, ١٧٥.

صحيح أيضًا[٦]، ولا بدَّ من القول أيضًا، إنَّ القيم تخضع لهرميَّة معيَّنة، فليست كلّها بدرجة واحدة في الاعتبار، فالجميل على مراتب، وكذا القبيح، والنافع والضارّ، فالعدل مثلًا، وهو قيمة مجرَّدة، أرفع من النفع، والإنسان، بوصفه قيمة محسوسة، أرفع من الحيوان، وهكذا[٧].

وتُعدُّ المواضع الحجاجيَّة الجسر الذي يربط بين الأفكار المجرَّدة والواقع الإقناعيِّ، فهي تُقدِّم أنماطًا استدلاليَّة جاهزة تُمكِّن المُتكلِّم من بناء خطابه بفعاليَّة، وهذه المواضع بلحاظ ارتباطها بالقيم تكون على أنواع، أهمُّها[٨]:

١_ موضع الكمِّ:

يعتمد هذا الموضع على فكرة أنَّ ما هو أكثر عددًا أو أهمِّيَّة هو الأفضل أو الأصحّ، فمثلاً، يمكن للمحاجِّ أن يستخدم حجَّة مفادها أنَّ "السلام أفضل من الحرب، لأنَّ معظم الناس في العالم يفضلونه"، فهنا تستثمر قيمة "السلام" وتضخّم عبر موضع الكم لإضفاء شرعيَّة عليها في نظر المتلقِّي، ومن الممكن جدًّا استخدام هذا الموضع في سياقات اقتصاديَّة، مثل القول بأنَّ "المنتج الأكثر مبيعًا هو الأفضل جودة"، وكان أرسطو قد ذكر أنَّ العفَّة والعدل أفضل من الشجاعة، وذلك لكونهما نافعين أبدًا، أمَّا الشجاعة فلا تصلح إلَّا في ظروف معيَّنة.

٢_ موضع الكيف:

هذا الموضع على العكس من موضع الكم، فهو يُعطي الأفضليَّة لما هو فريد، أو نادر، أو استثنائيّ، ويُستخدم غالبًا في سياقات تُعنى بالجمال والفنِّ وقضايا الوجود، فعند الدفاع عن عمل فنِّيٍّ، مثلًا، يمكن القول إنَّه "تحفة فنِّيَّة لا مثيل لها"، وهنا تستخدم قيمة "التفرُّد" و"التميُّز" لإضفاء أهمِّيَّة خاصَّة على هذا العمل، ويمكن

٦ شاييم بيرلمان و لوسي أولبرخت تيتكا, ١٧٧.

٧ صولة,عبدالله. في نظرية الحجاج- دراسات وتطبيقات,ط١ تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع,(٢٠١١),٢٦.

٨ شاييم بيرلمان و لوسي أولبرخت تيتكا, المصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة, ١٨٥-٩٨.

أيضًا استخدامه في سياقات إنسانيَّة، مثل الدفاع عن الأقلِّيَّة أو الفرد في مواجهة الأغلبيَّة، ومثلها أنَّ الحقَّ يعلو ولا يُعلى عليه مهما كثر عدد خصومه وأعدائه.

وهذان الموضعان هما الأكثر استخدامًا، ويمكن إضافة مواضع أخرى كثيرة حتمًا، ولكنَّها مواضع محدودة الاستخدام، وأنَّ الاهتمام بالمواضع الأكثر في التداول يعين في الانتقال إلى ملاحظة القيم ومراتبها ودورها في العمليَّة الحجاجيَّة[٩]، وأنَّ الوعي بتراتبيَّة القيم، في الحجاج، أهمّ من تلك القيم نفسها، إذ إنَّ جمهور التلقِّي ليس واحدًا، ودرجة التسليم بهذه القيم ليست واحدة بناءً على ذلك[١٠]، والذي يبدو على هذه المواضع ومراتب القيم التي ترتبط بها؛ أنَّها تدور على المؤثِّر والأفضل[١١].

ولا يفوتنا القول بأنَّ المخاطِب الذي ينطلق من قيمة ما لا يفعل ذلك للإفصاح عن موقفه الشخصيّ الإيمانيّ أو النفسيّ أو الانفعاليّ فحسب، بل إنَّه يفعل ذلك لغاية حجاجيَّة، وهي أنَّه يدعو متلقيه إلى تبني تلك القيمة المنوه بها، في حال قبولها، أو نبذها، في حال رفضها والعزوف عنها، وكل ذلك اعتمادًا على المواضع الحجاجية[١٢]. ومن الأمثلة على ذلك ما في قول الدكتور علي جواد الطاهر في إحدى مقالاته: **"أنت عظيم في التاريخ وشهيد لدى قومك وبطل من الأبطال.. حين تضحي بنفسك من أجل معتقد أو رأي أو خدمة عامة [...] أجل، هذا هو المنطلق السليم المعترف به، أما ما عداه فتزوير وغطرسة وجهل واستضعاف ووحشية"**[١٣]، ففي قوله دعوة ضمنية إلى قيمة (التضحية) من أجل المعتقد الصحيح- عند الجماعة المعينة- والرأي والخدمة العامة، لكن الدعوة إلى تلك القيمة العليا ما كان لها أن تكون إلا عبر المرور بموضع حجاجي، وهو

٩ شاييم بيرلمان و لوسي أولبرخت تيتكا, ١٩٨.
١٠ شاييم بيرلمان و لوسي أولبرخت تيتكا, ٢٦.
١١ شاييم بيرلمان و لوسي أولبرخت تيتكا, ٢٩.
١٢ الزماني, كمال. "حجاجية القيم في خطبة حجة الوداع," مجلة أبولويس,المجلد٦, العدد١. ٨٢_٨٣ (٢٠١٩):.
١٣ الطاهر, علي جواد .مقالات الباب الواسع, ط١ بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة, (٢٠٠٧), مقالة (الشجعان الذين ماتوا من أجل ملكهم ووطنهم): ١٢٣.

(كل معتقد صحيح أو رأي أو خدمة عامة يستحق أن يُضحى من أجله)، ويعززه قوله: "أجل، هذا هو المنطلق السليم المعترف به...".

والذي يظهر أنَّ ثمَّة نزعة واضحة في الخطابات الحجاجيَّة إلى استدعاء المشترك، قيمًا ومواضع، وهو ما يعني الاستناد إلى كل ما يشكِّل موضوع اتفاق بين طرفي الخطاب، أو ما يمثل جملة من معارف شائعة متواضع عليها عند عامة المخاطبين، وهذا الاشتراط العام له سلطة على نفوسهم، فالنفس تذعن لما تعلّقت به واعتادته وتنفر من ضدّه[١٤]. والمواضع تدعم القيم، ومن هنا هما يقعان في دائرة واحدة، هي دائرة المشترك العام[١٥]، ويجتمعان أيضًا في كونهما هرميين[١٦]، وقد تقدم أن الوعي بهذه التراتبية الهرمية التي تنتظم القيم أهم من القيم في ذاتها[١٧]، فثمة قيمة أعلى من قيمة، وثمة موضع أفضل من آخر، في ضمن التأليف الخطابي، وأن العودة إلى ما هو أكثر عمومية مشتركة تصل بنا، في مجال "القيم"، إلى "مواضع المفضل" تلك التي تضطلع بدور مماثل لدور الافتراضات التي تحظى بالموافقة العامة[١٨]، وهو ما يفضي إلى القول بأنَّ المواضع قيمٌ أكثر تجريدًا، مع صفتها غير اليقينية (المحتملة)[١٩]، ومن مقتضى العموميَّة هذا يكون اشتغال المواضع في التأليفات الحجاجيَّة، وهي لا تتميز بكونها صارمة ومنطقيَّة كما في الأقيسة الصوريَّة الاستنباطيَّة، بل هي شبه منطقيَّة، كما الحجاج نفسه، وهي في الوقت نفسه ليست إبداعًا شخصيًّا للمخاطِب متحرِّرًا كلِّيًّا من مجتمع التلقِّي

١٤ الحُسني, سامية الدريدي. الحجاج في الشعر العربي – بنيته وأساليبه, ط٢ إربد: عالم الكتاب الحديث, (٢٠١١), ٢٨٧–٨٨.

١٥ الحُسني, ٢٩٠.

١٦ الطلبة, محمد سالم محمد الأمين .الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر, ط١ بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة, (٢٠٠٨), ١١١.

١٧ الطلبة, ١١٢.

١٨ فيليب بروطون, الحجاج في التواصل: فيليب بروطون, ترجمة. محمد مشبال و العلمي, عبد الواحد التهامي, ط١ القاهرة: المركز القومي للترجمة, (٢٠١٣), ٩٥.

١٩ بروطون, ٩٥.

ورأيه العام[٢٠]. وشبه المنطقيَّة هذه وعدم الصرامة، في تقديري هي التي جعلت المشتغلين في الحجاج يستشعرون عدم الضبط المفهومي للموضع، ومن ثم القول بكون الموضع مفهومًا فضفاضًا[٢١]، أو غامضًا، في أقل تقدير، ولذا لا يُفهم الموضع فهمًا إجماليًّا على وجه الصحَّة من دون استدعاء الوظيفة التي يضطلع بها[٢٢]، وهو الأمر الذي يُسمح باستعماله في أية مناسبة لما له من عموميَّة مشتركة فضفاضة، ولكنَّه يتحدَّد في السياقات المقاميَّة الخاصَّة[٢٣]. ومن مبدأ التطالب الذي يكون بين القيم والمواضع، ومبدأ الدعم الذي تؤدِّيه المواضع للقيم أيضًا؛ سأتناول في المحورين اللاحقين أوضح القيم الحجاجيَّة المستدعاة في خطاب الإمام عليّ بن موسى الرضا ﷺ، التي تتَّصل بها المواضع المعينة وتلتحق، فيكون استدعاؤهما معًا نافذًا منتجًا في الخطاب، وإن هذه المواضع الحجاجيَّة تؤكِّد ضمنيًّا تأكيدًا واضحًا القيمَ الحجاجية التي تدعمها، وتجعل المتلقِّي يذعن لها، وهي في الغالب تدور بين الاستحسان والاستقباح، على هدى النص الأوَّل (القرآن)، فهي فرعه وتجلٍّ متَّصل به غير مبتوت، فالقيمة "مفهوم يستخرج مما يقوله الناس، ومما يفعلونه، ومما تبنيه المجادلات...القيمة معيار للقبول بالجودة أو الرداءة"[٢٤]، وإنَّ "هذا الفضاء الضمني الذي يظهر فيه معنيا الاستحسان والاستقباح يمثِّل بضمنيته، تلك، البعدَ الحجاجيّ الذي للألفاظ ذات أحكام القيمة الأخلاقية..."[٢٥] وإنَّ مدار هذه القيم "اللاقوليَّة على الأمر بفعلٍ ما لكونه حسنًا، أو النهي عن فعلٍ آخر لكونه قبيحًا"[٢٦].

٢٠ الراضي, المظاهر اللغوية للحجاج – مدخل إلى الحجاجيات اللسانية, ١٩٨.
٢١ الراضي, المظاهر اللغوية للحجاج – مدخل إلى الحجاجيات اللسانية, ٢١٤.
٢٢ الحُسني, الحجاج في الشعر العربي – بنيته وأساليبه, ٢٨٧.
٢٣ شاييم بيرلمان و لوسي أولبرخت تيتكا, المصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة, ١٨٥.
٢٤ محمد العبد, النص والخطاب والاتصال, ط١ القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب, (٢٠٠٥), ٢١١.
٢٥ صولة, عبد الله. الحجاج في القرآن – من خلال أهم خصائصه الأسلوبية, ط١ بيروت: دار الفارابي, (٢٠٠٧), ١٥٠.
٢٦ صولة, ١٥٣.

المبحث الثاني: قيم الاستحسان والمواضع الداعمة في خطاب الإمام الرضا عليه السلام

لا يُراد من الاستحسان هنا إلَّا معناه اللُّغويّ، الذي يدخل في علم الأخلاق وعلم الجمال، وإلَّا فالاستحسان مصطلح يدخل في علم المنطق، وإن كان استعماله نادرًا[٢٧]، ويدخل في أصول الفقه، وقد اختلفت دلالته عند الأصوليّين اختلافًا كثيرًا[٢٨]، بما يشير إلى أنَّه "مفهوم غير مستقرٍّ ولا محدَّد بشكل يجعله مصدرًا من مصادر التشريع الإسلامي"[٢٩]، والغالب أن يُطلقه الأصوليّون على القياس الخفي المقابل للقياس الجليّ، أو على الدليل الذي ينقدح في نفس المجتهد ويعسر التعبير عنه، وقيل: إنَّه العدول عن القياس إلى قياس أقوى منه، أو العدول إلى خلاف الظن لدليل أقوى، أو العدول عن حكم الدليل إلى العادة والمصلحة، وغير ذلك[٣٠] [٣١]. وعلى سمت ضعفه واختلاف القول فيه في علم الأصول؛ نجده كذلك عند النحويّين، فهو "ما كانت علَّته ضعيفة غير مستحكمة، إلا أنَّ فيها ضربًا من الاتِّساع والتصرُّف، من ذلك تركك الأخفّ إلى الأثقل من غير ضرورة"[٣٢].

وكل ذلك لا يشغلنا، إنَّما الذي يشغلنا هنا معناه اللُّغويّ، وإذا عدنا إلى المعجمات وجدناه نقيضًا للاستقباح[٣٣]. الذي ستكون قيمُهُ محورًا للمبحث اللاحق. والفعل من الاستحسان هو "استحسن"، وهو استفعال، ويعني أن تعدَّ الشيء حسنًا[٣٤]،

٢٧ الطوسي, أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. معيار العلم في فن المنطق, تحقيق. سليمان دنيا, ط١ مصر: دار المعارف, (١٩٦١), ٢٠٠.

٢٨ الحكيم, محمد تقي. الأصول العامة للفقه المقارن- مدخل إلى دراسة الفقه المقارن, ط١ قم: دار فدك, (٢٠٠٥), ٣٦١.

٢٩ جمال الدين, مصطفى. الاستحسان، بحوث فقهية وأصولية ونحوية وفلسفية, ط١ بغداد: دار الهادي, (٢٠٠٧), ٢٢.

٣٠ الحنفي, أبو زيد عبيد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي. تقويم الأدلة في أصول الفقه, تحقيق. الميس, خليل محيي الدين, ط١ بيروت: دار الكتب العلمية, (٢٠٠١), ٤٠٤.

٣١ جمال الدين, الاستحسان، بحوث فقهية وأصولية ونحوية وفلسفية, ٢٦-٢٩.

٣٢ أبو الفتح عثمان ابن جني, الخصائص, تحقيق. محمد علي النّجار, ط٢ عالم الكتب, (٢٠١٠), ١/ ١٣٣.

٣٣ الفارابي, أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين. معجم ديوان الأدب, تحقيق. أحمد مختار عمر, ط١ القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر, (٢٠٠٣), ٢/ ٤٢٩.

٣٤ الفيروزآبادي, جد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط, تحقيق. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة واشراف محمد نعيم العرقسُوسي, ط٨ بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع, (٢٠٠٥), ١١/ ١٩.

ويُطلق على ما يميل إليه الإنسان ويهواه، حسِّيًّا كان هذا الشيء أو معنويًّا، وإن كان مستقبحًا عند غيره.

يرتكز خطاب الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ في جزء مهمّ من حجاجيَّته؛ على قيم ومواضع مفضَّلة عند متلقيه الذين يخاطبهم، أفرادًا كانوا أم جماعة، والقيم والمواضع ليست حججًا بمعناها التقني، بل هي –كما تقدم- محتوى ينتظم في علاقات أو قوالب تسمَّى حججًا، وليس من الممكن تفعيل هذه الحجج في الخطاب من دون هذا المحتوى الارتكازيّ الذي يمثِّل الاتِّفاق المسبق بين طرفي ذلك الخطاب، وفي هذا السياق يقول فيليب بروتون: "الملاحظ أن الفعل الحجاجي لا يتمثَّل في تشكيل الرأي وصياغته في قالب حجاجيّ فقط، ولكنَّه يتمثَّل بصفة خاصَّة، بدعم هذا القالب الحجاجيّ بعنصر مقبول سابقًا من المتلقِّي، وبصفة ملموسة، فإنَّ البحث عن اتِّفاق مسبق يتحقَّق بتحديد "نقطة الارتكاز" انطلاقًا من موضوع مقبول من المتلقِّي سلفًا. والملاحظ أن "المتلقِّي الكوني" نادر؛ فنحن نحاول دائمًا إقناع متلقٍ محدَّد، سواء أتعلق الأمر بشخص واحد أم جماعة من الأشخاص، فالاتِّفاق المسبق لا يخصّ، إذن، سوى شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص"[٣٥]. لكن "المتلقِّي الكوني" مرتقب مقصود في خطاب الإمام الرضا ﷺ، حتَّى ولو كان محتمل الوجود أو نادرًا أو متعذرًا، انطلاقًا من مسؤوليَّته الشرعيَّة الكونيَّة، لو جاز لنا الوصف، كما سيأتي، وهذا الارتقاب لا يجعلنا نتَّفق مع عمومية ما طرحه سارتر معاتبًا أحد الكتّاب على إهماله الكونية المحسوسة على حساب الكونية المجرَّدة، ولم يراعِ متلقيه الفعليين الذين يتطلَّعون إلى القريب المتناول، وهو ما يعني – عند سارتر- اللجوء إلى نهائيَّة الزمن التي تعني البحث عن تعويض الفشل في المكان، والعودة إلى المُثُل الأولى المجردة[٣٦]؛ وعدم اتفاقنا إنَّما كان في العموميَّة، إذا ما لاحظنا طرف الخطاب

٣٥ بروطون, الحجاج في التواصل: فيليب بروطون, ٧٣.

٣٦ شاييم بيرلمان و لوسي أولبرخت تيتكا, المصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة, ١٢٤.

الأول (الإمام ﷺ) ومسؤوليته الملقاة على عاتقه، وهو مع ذلك يراعي الكونيَّة المجرَّدة والكونيَّة المحسوسة معًا. والمخاطِب بصورة عامَّة "يستدعي القيم لحمل المتلقِّي على الاضطلاع باختيارات معينة دون أخرى وخاصة؛ لتبريرها بحيث يجعل الآخر يقبلها ويصادق عليها" [٣٧].

ولما كان خطاب الإمام الرضا ﷺ يقوم على الحجاج والإقناع، فهو ما يعني استدعاءه قيمًا دينيَّة وأخلاقيَّة بصورة واسعة، مدعمة بالمواضع، سواء كان محاورًا أو مناظرًا أو موصيًا أو مخبرًا.

ومن القيم المستحسنة ما نجده في كلامه ﷺ: **"من علامات الفقيه الحلم والعلم والصمت، إنَّ الصمت بابٌ من أبواب الحكمة، إنَّ الصمت يكسب المحبَّة، إنَّه دليل كلِّ خير"**[٣٨]، وهذا النص ينطوي على قيمة (الفقاهة)، وقد انطلقت علامات هذه الفقاهة القيميَّة من كونها مواضع كمِّيَّة، لتدعيم هذه القيمة، فهي مواضع عامة جدّا أو أكثر تجريدًا، ومثلُها يجتلب، عند الحجاجيين، لتسويغ الاختيارات[٣٩]، وهي هنا تمنح المتلقِّي – بوصفه مقوِّمًا- مهمَّة تفخيم الأفكار المتفق عليها، بنزعة (إشهارية) لهذه القيمة، وهي تهدف إلى توجيهه إلى سلوك معين أو موقف محدَّد، وهذه المواضع التي تشتمل على (الحلم، والعلم، والصمت) تصبّ في مصلحة القيمة، أو قل: هي الضامن لها، ومن ثَمّ تعود على الفرد والمجتمع بالنفع العميم في الدنيا والآخرة. وكل ذلك يجعل صاحب هذه القيمة المتسلِّح بهذه المواضع مثالًا يحتذى، أو أنموذجًا يُقتدى به، وهذا الأنموذج "مداره على كائن يصلح على صعيد السلوك لا لتأسيس قاعدة عامة أو دعمها فحسب، وإنَّما يصلح كذلك للحض على

٣٧ مشبال, محمد. خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ- مقاربة بلاغية حجاجية, ط١ عمان: دار كنوز المعرفة, (٢٠١٥), ٦٧.

٣٨ القمي, أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه. عيون أخبار الرضا ﷺ, ط١ بيروت: دار المتقين, (٢٠١٢), ١/ ١٩١.

٣٩ شاييم بيرلمان و لوسي أولبرخت تيتكا, المصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة, ١٨٤.

عمل ما اقتداءً به، ومحاكاةً له، ونسجًا على منواله"[٤٠]، أو كما يقول بيرلمان: "إنَّ قيمة الشخص، المعترف بها بشكل مسبق، تشكِّل المقدِّمة التي نستخلص منها استنتاجًا يوصي بسلوك خاص"[٤١]. ومن الحقيق بالذكر أنَّ الحجاج بالأنموذج يعدُّ نوعًا من "الحجج المؤسِّسة لبنية الواقع"، وهي "حجج لا تتأسَّس على الواقع، ولا تنبني على بنيته، بل هي التي تؤسِّس هذا الواقع وتبنيه أو على الأقلِّ تكمّله وتظهر ما خفي من علاقات بين أشيائه وصلات بين عناصره ومكوناته"[٤٢]، وكلّ ذلك يلوّح به كلامه ﷺ، فأنموذجه القيمي المدعم بالمواضع التي تضمن حصوله هو تأسيسٌ لحصوله أو تكميل لما لم يكتمل منه في الواقع، وهو في الوقت نفسه يضمر حجاج تنفيرٍ من أنموذج معاكس أو مضادّ، أو قل: هو حجاج إقصاء لهذا الأنموذج المعاكس الذي قد يكون قاصرًا أو انتهازيًّا. ويستمدّ هذان الأنموذجان المتضادَّان حجاجيتهما "من الاستعداد الفطري عند الإنسان للاقتداء بالنماذج الصالحة، وترك الاقتداء بالنماذج السيئة"[٤٣].

وبسلوك حجاجيّ تكون هذه المواضع التي ذكرها الإمام ﷺ مخازن الحجج الداعمة لتلك القيمة المنوّه بها، وهي بتعبير تولمين "الضامن" لها، أو "قانون العبور" كما يعبر بلونتين[٤٤]، وهذه المواضع داخليَّة من حيث كون العنصر الثاني المتطلب (أو العناصر) هو صياغة أخرى لما في محتوى العنصر الأول[٤٥]، ومن ثَمَّ نجد الأمر متعلِّقًا بالعبور من الحجَّة إلى النتيجة، كما في المسار الحجاجي الآتي:

ح: الفقاهة: تتطلَّب الحلم والعلم والصمت.

٤٠ صولة, في نظرية الحجاج- دراسات وتطبيقات, ٥٥.
٤١ شاييم بيرلمان و لوسي أولبرخت تيتكا, المصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة, ٥٣٧.
٤٢ الحُسني, سامية الدريدي. دراسات في الحجاج – قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم, ط١ إربد: عالم الكتاب الحديث, (٢٠٠٩), ٦١–٦٢.
٤٣ لولو, رشيد. حجاجية المثل في القرآن الكريم, ط١ تطوان: منشورات حمداوي الثقافية، مطبعة الخليج العربي, (٢٠١٧), ١٠٣.
٤٤ صولة, الحجاج في القرآن – من خلال أهم خصائصه الأسلوبية, ٢٤.
٤٥ الراضي, المظاهر اللغوية للحجاج – مدخل إلى الحجاجيات اللسانية, ٢١٥.

ضو: بقدر ما يكون الفقيه حليمًا وعالمًا وصامتًا يستحق القصد.

ن: التزمِ الفقاهة التي تتسم بالحلم والعلم والصمت وإلّا فلا.

ولا يفوتنا القول إن (الصمت) المنوّه به في قوله ﷺ ليس كل صمت، بل هو الذي أعقبه بقوله **"الصمت بابٌ من أبواب الحكمة، إنَّ الصمت يكسب المحبَّة، إنَّه دليل كلِّ خير"**، وتعقيبه يضمر سؤالًا عن كنه هذا الصمت، فلذا أوضحه. وإلَّا فالصمت في مقامات حجاجيَّة أخرى غير هذا المقام مذمومٌ قطعًا[٤٦]، والمقام كما يقول بيرلمان: "أساسيّ لتحديد المواضع التي نلجأ إليها، هو في ذاته مركَّب يشتمل في نفس الآن على الهدف الذي نقصده، والحجج التي يمكن أن نصطدم بها"[٤٧].

وعلى هذا السمت ما في قوله ﷺ: **"للإمام علامات يكون أعلم الناسِ، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس... ويكون أولى بالناس منهم بأنفسهم، وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم، ويكون أشد الناس تواضعًا لله عزّ وجلّ، ويكون آخذ الناسِ بما يأمره به، وأكفّ الناسِ عمّا ينهى عنه..."** [٤٨].

فـ (الإمامة) قيمة اعتقاديَّة عند من أعتقد بها من متلقيه الكونيين، أينما كانوا ومتى ما وجدوا، وهي لا تكون إلا بمواضع داخلية تضمن حصولها في شخص الإمام ﷺ نفسه، وهذه المواضع مواضع كيفية داعمة لهذه القيمة، وهي كما في النص: (العلم) و(الحكمة) و(التقوى) و(الحلم) و(الشجاعة) و(السخاء) و(العبادة) و(الولاية) و(الشفقة) و(التواضع) و(الطاعة).

إنَّ وظيفة القيم، بصورة عامَّة، كما يرى بيرلمان لا تخلو من غاية حجاجيَّة، فهي تدخل

---

٤٦ مشبال, خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ- مقاربة بلاغية حجاجية, ٦٨-٧٠.

٤٧ شاييم بيرلمان و لوسي أولبرخت تيتكا, المصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة, ١٩٩.

٤٨ القمي, عيون أخبار الرضا ﷺ, ١/ ١٦١.

في كلِّ الأفعال الحجاجية وتشايعها حتَّى النتيجة[٤٩]، بمعنى أنَّ لها سيرورة في العمل الحجاجيِّ وإن كانت كامنة في النصوص. ويجري على قيمة (الإمامة) المستدعاة ومواضعها الكيفية ما جرى على (الفقاهة) من حركة حجاجية، مع فارق كون مواضع الفقاهة كمِّيَّة؛ لكونها تحصيليَّة، وكون مواضع الإمامة كيفية؛ لكونها تكوينية، فلا يناسبها أن تكون كمية. ويمكن وضع الفعل الحجاجي على النحو الآتي:

ح: الإمامة: تستلزم (العلم) و(الحكمة) و(التقوى) و(الحلم) و(الشجاعة) و(السخاء) و(العبادة) و(الولاية) و(الشفقة) و(التواضع) و(الطاعة).

ضو: كل إمام عالم وحكيم وتقيّ وحليم وشجاع وسخيّ وعابد ووليّ وشفيق ومتواضع ومطيع لله تعالى؛ أهلٌ لأن يُلتزم.

ن: التزمِ الإمامةَ التي تستلزم (العلم) و(الحكمة) و(التقوى) و(الحلم) و(الشجاعة) و(السخاء) و(العبادة) و(الولاية) و(الشفقة) و(التواضع) و(الطاعة).

ومما يتصل بهذه القيمة عينها ما في قوله ﷺ: **"الإمامة أجلُّ قدرًا وأعظم شأنًا وأعلى مكانًا وأمنع جانبًا وأبعد غورًا؛ من أن يبلغها الناس بعقولهم أو أن ينالوها بآرائهم أو أن يقيموا إمامًا باختيارهم..."** [٥٠]. ويمكن وضعها في التشكيل الحجاجي الآتي:

ح: الإمامة: تستلزم جلالة القدر وعظم الشأن والمكانة ومنعة الجانب وبعد الغور.

ضو: كل إمام جليل القدر وعظيم الشأن والمكانة ومنيع الجانب وبعيد الغور؛ يُلتزم.

ن: التزمِ الإمامةَ الجليلة القدر العظيمة الشأن والمكانة المنيعة الجانب البعيدة الغور.

وكذا هي في جزء من قوله ﷺ: **"الإمام عالمٌ لا يجهل، راعٍ لا ينكل، معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة..."** [٥١]. ويمكن وضع الفعل الحجاجيّ المنجز على النحو الآتي:

---

٤٩ شاييم بيرلمان و لوسي أولبرخت تيتكا, المصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة, ١٧٤-٧٥.
٥٠ القمي, عيون أخبار الرضا ﷺ, ١/ ١٦٣.
٥١ القمي, ١/ ١٦٥.

ح: الإمامة تسلتزم العلم والرعاية (المسؤولية) وكون القداسة أصلًا فيها والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة.

ضو: كلّ إمام عالم وراعٍ (مسؤول) وكون القداسة والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة أصلًا فيه؛ أهلٌ لأن يُلتزم.

ن: التزمِ الإمامة التي تسلتزم العلم والرعاية (المسؤولية) وكون القداسة أصلًا فيها والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة.

ومن القيم المستحسنة غير الفقاهة والإمامة ما في قوله ﷺ: **"أقرب ما يكون العبد إلى الله (عزّ وجلّ) وهو ساجدٌ، وذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ (العلق: ١٩) "**.

والقيمة التي ينطوي عليها النص هي (العبودية لله تعالى)، والسبيل الضامن لها هو الموضع الكمي الذي نجده في قوله: (أقرب ما يكون العبد إلى الله في حال سجوده)، لتكون النتيجة أنِ التزموا العبادة التي هي الأقرب إلى الله تعالى. إنَّ المقتضى الذي تنطوي عليه هذه القيمة يتحوّل إلى مقتضى براغماتي، والمقتضى البراغماتي، كما يذكر عبد الله صولة، يضمن للعمل الكلامي المعين اللاقولي إنجازًا محددًا – وهو هنا: الأمر- وبذا يضمن تأثيره[٥٢]. وممّا زاد من الطاقة الحجاجيَّة لقيمة (العبوديَّة) هذه أنَّها ارتكزت على موضع داخلي يقوم على (حجَّة سلطة)، وهي قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾، إذ إنَّ هذه الحجَّة ترد في الكلام لدعم صحة أطروحة ما، لتأسيس الواقع رغبة في زيادة التصديق[٥٣]، وهي حجة مكمّلة لا يُختلف على نجاعتها ونفاذها عند جمهور التلقِّي، وقد جرت "العادة في الحجاج ألَّا تكون الحجَّة بالسلطة هي الحجَّة الوحيدة فيه، وإنَّما تأتي هذه الحجة مكمّلة لحجاج

٥٢ صولة, الحجاج في القرآن – من خلال أهم خصائصه الأسلوبية, ١٠٥-٦.

٥٣ حمداوي, جميل. أنواع الحجاج ومقوماته- من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة, ط١ إربد: دار ركاز, (٢٠٢١), ١٦٠.

يكـون غنيًّـا بحجـج أخـرى غـير حجَّـة السـطلة، كـما أنَّـه كثـيرًا مـا نعمـد إلى الثنـاء عـلى هـذه السـلطة قبـل اسـتخدامها حجَّـة في كلامنـا"، وهـذا مـا هـو الحاصـل فعـلًا مـع هـذه الحجَّـة الداعمـة التـي هـي روح الموضـع وإهابـه هنـا، ويمكـن وضـع الحركـة الحجاجيَّـة عـلى النحـو الآتي:

ح: العبودية لله تعالى: تستلزم السجود المحقِّق للقرب الشديد منه (جلّ شأنه).

ضو: بقدر ما يكون العبد ساجدًا يكون القرب الشديد منه (جلّ شأنه).

ن: التزمِ العبوديَّة التي تستلزم السجود المحقِّق للقرب الشديد منه (جلّ شأنه).

ومـن هـذه القيـم المدعَّمـة بالمواضـع مـا في قولـه عليه السلام لمـا سـأله ابـن السـكّيت عـن تنـوّع معاجـز بعـض الأنبيـاء عليهم السلام: **"إنّ الله تبـارك وتعـالى، ولمـا بعـث موسـى عليه السلام كان الأغلـب عـلى أهـل عـصره السـحر، فأتاهـم مـن عنـد الله (عـزّ وجـلّ) بـما لم يكـن عنـد القـوم وفي وسـعهم مثلُـه، وبـما أبطـل بـه سـحرهم وأثبـت بـه الحجـة عليهـم، وأن الله تبـارك وتعـالى بعـث عيسـى عليه السلام في وقـت ظهـرت فيـه الزمانـاتُ، واحتـاج النـاس إلى الطـبّ، فأتاهـم مـن عنـد الله عزوجل بـما لم يكـن عندهـم مثلُـه، وبـما أحيـا لهـم الموتـى وأبـرأ لهـم الأكمـه والأبـرص، بـإذن الله تعـالى، وأثبـت بـه الحجـة عليهـم، وأن الله تبـارك وتعـالى بعـث محمـدًا صلى الله عليه وآله في وقـت كان الأغلـب عـلى أهـل عـصره الخطـب والـكلام – وأظنـه قـال: والشـعر- فأتاهـم مـن كتـاب الله عزوجل ومواعظـه وأحكامـه مـا أبطـل بـه قولهـم وأثبـت بـه الحجـة عليهـم"**[٥٤]. وواضـح فيـه أنَّ القيمـة الأساسـية هـي (الإعجـاز)، مـع اختـلاف قانـون العبـور (الموضـع) الكميّ مـع كلِّ نبـي منهـم، ويمكـن وضـع الفعـل الحجاجـي عـلى النحـو الآتي:

ح : (الإعجاز): يستلزم أن يأتي الأنبياء أقوامهم بما لم يكن في وسعهم مثله.

ضو: بقدر ما يكون الإعجاز خارقًا يكون التصديق.

ن: التزمِ الأنبياءَ الذين يستلزمون الإتيان بما لم يمكن في الوسع الإتيان بمثل ما أتوا به.

٥٤ القمي, عيون أخبار الرضا عليه السلام, ٢/ ٢٩٤-٢٩٥.

ومن القيم المستحسنة الأخرى (العدل) و(الإحسان)، وقد وردا في قوله عليه السلام: **"استعمال العدل والإحسان مؤذنٌ بدوام النعمة، ولا حول ولا قوَّة إلّا بالله"**[٥٥].

وفيه قد عمد أبو الحسن إلى هاتين القيمتين المتناصرتين المتَّفق على فضلهما عند متلقِّيه الكونيين من أجل التسليم لهما جميعًا، ومن أجل التنفير الضمني من ضدهما، أعني الجور والظلم ونحوهما، أيضًا، وكذلك يكون اختيار القيم ليُحمل المتلقِّي المرتقب على الاختيار نفسه، ويسوغه، كي يضمن الإقناع والتأثير[٥٦]، وإنما كان التسويغ بحجَّة أخرى هي (التحديد)، وفيه يطرح المخاطِب علاقة تعادل أو مكافأة من أجل منح المفهوم معنى ليكون الإقناع أفضل، من دون أن يكون هذا التحديد المعادل أو المكافئ صارمًا في حدّيته، وهو لا يعدو أن يكون تقنية حجاجية وظيفتها تأكيد الدعوى، فهو إذن، تقنية شبه منطقيَّة، هدفها جلب المتلقِّي إلى ساحة صاحب الدعوى[٥٧]، ولكن هذا الاستجلاب ليس على حساب الحقائق البدهية، بل هو أحد وجوهها الصحيحة، وليس بالضرورة أن يكون كلها، وهذا ما نجده في معادل قيمتي (العدل) و(الإحسان)؛ الذي هو (دوام النعمة)، يدل على ذلك قوله تذييلًا (ولا حول ولا قوة إلا بالله)، إذ لو كان المعنى المعادل والمكافئ فريدًا لما كان هذا التذييل. وقد ضمَن المرورَ والعبور إلى النتيجة الموضعُ الحجاجيُّ الخارجيُّ، وإنَّما كان خارجيًّا لكونه استنتاجيًّا، إذ ليس حتمًا أن يكون تعادل طرفيه محطَّ إجماع، فهما لا يقعان في ضمن الدائرة الدلالية الواحدة[٥٨]، وهذا ما تفيده حجَّة التحديد عينها، ولكن الإمام عليه السلام يعطيه ذلك التعادل المقنع، لما يمتلكه من سلطة حجاجيَّة غير منكرة، عند جمهور التلقِّي

٥٥ القمي, عيون أخبار الرضا عليه السلام, ٢/ ٢٤٨.
٥٦ مشبال, خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ- مقاربة بلاغية حجاجية, ٦٧.
٥٧ مشبال, ٧٣.
٥٨ الراضي, المظاهر اللغوية للحجاج – مدخل إلى الحجاجيات اللسانية, ٢١٧.

الـذي يعتقـد بإمامتـه. ويمكـن وضـع الفعـل الحجاجـي عـلى النحـو الآتي:

ح: العدل والإحسان: يستلزمان دوام النعمة.

ضو: بقدر ما يكون العدل والإحسان تدوم النعمة.

ن: التزمِ العدل والإحسان اللذين يستلزمان دوام النعمة.

ومثل هـذه القيـم والمواضـع الحجاجيـة المسـوغة بحجـة التحديـد كثـيرة في كلامـه[٥٩]. والإمـام ﷺ في حجـة التحديـد يـروم دفـع متلقيـه المرتقبـين إلى استحسـان القيـم وترغيبهـم فيهـا، وإثـارة عواطفهـم وانفعالاتهـم تجاههـا، وكل ذلـك في تقديـري لأن المعنـى المحـدد يجـاري القيـم التـي تقـوم بهـا المواضـع، وتماهيهـا بنـوع مـن التماهـي وتتجـه بهـا نحـو نتيجـة معينـة يتغياهـا الخطـاب، وأضـف إلى ذلـك أن علـم المخاطِـب بعواطـف متلقيـه وميولهـم ونوازعهـم واختياراتهـم، كـما يذهـب أهـل الحجـاج، يكـون أنجـع في الحجـاج والتأثـير، وهـذا مـا كان يدعـوه أرسـطو (الباتـوس)[٦٠].

المبحث الثالث: قيم الاستقباح والمواضع الداعمة في خطاب الإمام الرضا ﷺ

مـرَّ في المبحـث السـابق أنَّ الاستحسـان يكـون بالضـدِّ مـن الاسـتقباح، وأن "الفضـاء الضمنـي الـذي يظهـر فيـه معنيـا الاستحسـان والاسـتقباح يمثـل بضمنيتـه تلـك البعـدَ الحجاجـي الـذي للألفـاظ ذات أحـكام القيمـة الأخلاقيـة..."[٦١]، وإنَّ مـدار هـذه القيـم "اللاقوليـة عـلى الأمـر بفعـلٍ مـا لكونـه حسـنًا، أو النهـي عـن فعـلٍ آخـر لكونـه قبيحًـا"[٦٢]. ويشـير اسـتدعاء قيـم الاسـتقباح المدعمـة بالمواضـع الحجاجيـة في الخطـاب إلى غايـة تواصليـة تهـدف إلى توجيـه اللـوم أو النقـد أو التنبيـه والإرشـاد نحـو

٥٩ القمـي, عيـون أخبـار الرضـا ﷺ, (في وصـف الإرادة): ١/ ١٣٩، (في صفـة المـوت): ١/ ٢٠٢-٢٠٣، (في صفـة الكرامـة): ١/ ٢٢٤، (في تحليـل لحـم البقـر وغـيره): ٢/ ٣٠٩، (في غسـل الجنابـة): ٢/ ٣٠٢، ...إلـخ.

٦٠ مزيـان, فريـدة, "- الحجـاج بالعواطـف في الخطـاب الإشـهاري," مجلـة الرسـالة للدراسـات والبحـوث الإنسـانية ٨, العـدد٢. ٢٠٣ (٢٠٢٣):.

٦١ صولة, الحجاج في القرآن – من خلال أهم خصائصه الأسلوبية, ١٥٠.

٦٢ صولة, ١٥٣.

حال ما، بهدف إثارة مشاعر سلبية لدى المتلقي وإقناعه بوجهة نظر المخاطِب. ولا يراد من الاستقباح هنا أكثر من معناه اللغوي، كما كان مع الاستحسان، وإلا فالاستقباح عند المتشرعة لا يمنع من أن يكون الشيء صحيحًا، مع كونه مكروهًا أو مستقبحًا على درجة من الكراهة أو الاستقباح[٦٣]، وقد أحسن أبو حيان التوحيدي في واحدة من مقابساته، بقوله: "الاستحسان تحسين لك، والاستقباح تقبيح عليك، والتحسين إطلاق، والتقبيح حظر، وإنما كان هذا من العقل هداية لذي الطبيعة"[٦٤].

ومن استدعاء القيم المستقبحة للتنفير منها ما في قوله ﷺ في واحدة من علل التشريع: **"وحرّم قتل النفس لعلة فساد الخلق في تحليله لو أُحِلّ، وفنائهم وفساد التدبير"**[٦٥].

ولا شكَّ في أنَّ الحجاج بالقيم، عامةً، يتخلل عالم الشعور، بوصفه عالم مُثُل وفضائل، وهو ما ينشده الإنسان السويّ، وتدلّ تلك القيم على الأخلاق الفاضلة التي تتمثَّل في شخص المخاطِب، وهي ما يريد تمريره لمتلقِّيه، ولا يكون له ذلك إلَّا بكون تلك القيم قيمًا يقرّها وجدان مجتمع التلقِّي السليم. وقوله ﷺ ينطوي على التنفير من قيمة مستقبحة، وهي (قتل النفس) بغير حق، وهي حجة قائمة على بنية الواقع، إذ تحيل إلى ما نصَّ عليه القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**﴾ (المائدة : ٣٢)

وهذه الإحالة تمثِّل ضربًا من استدعاء الحجاج بالسلطة، والحجاج القيمي هنا

٦٣ مصيلحي, عبد الفتاح بن محمد .جامع المسائل والقواعد في علم الأصول والمقاصد, ط١ المنصورة: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع, (٢٠٢٢), ٣/ ١٥٣.

٦٤ أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي, المقابسات, تحقيق. حسن السندوبي, ط٢ (الكويت: دار سعاد الصباح, ١٩٩٢), ١٩٨.

٦٥ القمي, عيون أخبار الرضا ﷺ, ٢/ ٣٠٤.

يستمدّ قوَّته من قيمة النصِّ القرآنيِّ الذي يتشارك في الإقرار بسلطته مجتمعُ التلقِّي والمخاطِب، وهذه الحجَّة "صنف من الحجج القائمة على بنية الواقع، وهي شائعة الاستعمال، لا سيَّما في الاحتجاج للمذاهب والأخلاق والعادات"[٦٦] [٦٧]. ويمكن التمثيل لحركة الفعل الحجاجي الذي تؤدِّيه القيمة والموضع الكيفي الخارجي، على النحو الآتي:

ح: القتل: عمل محرّم يستلزم تحليلُه فسادَ الخلق وفناءهم وفسادَ التدبير.

ضو: كلّ قتل، بغير وجه حقٍّ، أهلٌ لأن يُتجنب.

ن: تجنّبِ القتلَ الذي يستلزم تحليلُه فسادَ الخلق وفناءهم وفسادَ التدبير.

وعلى نحوه ما في قوله عليه السلام: **"وحرّم الله عزّ وجلّ عقوق الوالدين لما فيه من الخروج عن التوقير لطاعة الله عزّ وجلّ والتوقير للوالدين وتجنُّب كفر النعمة وإبطال الشكر..."**[٦٨].

والنص يقوم على تقبيح قيمة (عقوق الوالدين)، وهي أيضًا قيمة سالبة قائمة على بنية الواقع، وهي تستند إليه وتحيل إلى نصوص قرآنية دينية عدّة، وإلى ما ورد من أحاديث نبوية صحيحة، ومثل هذا الاستدعاء يمثل أصواتًا حجاجية أخرى حاسمة[٦٩]، وهي ضمنيًّا تعني دفع الخطاب المعارض وتهوينه، قبال توسيع خطاب النص وتعميمه، وهذا ما يستوقف المتلقي ويدعوه إلى محاورة النص، ومن ثم يكون منتجًا له أيضًا[٧٠]، وقد تابع القرآنُ عبادةَ الله تعالى وعدم الإشراك به بالإحسان للوالدين، كما في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة: ٨٣)، وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (النساء : ٣٦)، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ

٦٦ صولة, في نظرية الحجاج- دراسات وتطبيقات, ١٥٢.

٦٧ أميمة صبحي, حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي, ط١ (عمان: دار كنوز المعرفة, ٢٠١٥), ٢٣٢-٢٣٣.

٦٨ القمي, عيون أخبار الرضا عليه السلام, ٢/ ٣٠٤-٣٠٥.

٦٩ صولة, في نظرية الحجاج- دراسات وتطبيقات, ١٥٣.

٧٠ صولة, ١٥٤-٥٧.

رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الأنعام: ١٥١)، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣)، ولذا عدّ الحديث النبوي الشريف عقوق الوالدين من الكبائر إلى جنب الإشراك بالله على حدّ سواء، "قال النبيّ ﷺ وكان متكِّئًا: ألا أخبرُكم بأكبرِ الكبائرِ الإشراكُ بالله وعقوقُ الوالدين، ثُمَّ قعدَ فقال: ألا وقولُ الزُّوْرِ"[٧١]، ويمكن متابعة حركة الفعل الحجاجي على النحو الآتي:

ح: **عقوق الوالدين يستلزم الخروج عن التوقير لطاعة الله ﷻ والتوقير للوالدين وتجنب كفر النعمة وإبطال الشكر...**

ضو: **كلّ عقوق للوالدين أهلٌ لأن يُتجنب.**

ن: **تجنّبْ عقوقَ الوالدين الذي يستلزم الخروج عن التوقير لطاعة الله ﷻ والتوقير للوالدين وتجنب كفر النعمة وإبطال الشكر...**

وقد يأتي الموضع الحجاجي الكيفي حاملًا معه القيمة المستقبحة، بصورة اختزال حجاجي نافذ، كالذي في قوله ﷺ في جواب من سأله من المعتقدين بإمامته الشرعية: "**من زعم أن الله ﷻ يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله ﷻ فوّضَ أمرَ الخلق والرزق إلى حججه ﷺ فقد قال بالتفويض، والقائلُ بالجبر كافرٌ والقائلُ بالتفويض مشركٌ**"[٧٢]، والقول بالجبر والتفويض من العقائد المرفوضة عند الشيعة الاثني عشرية، ولهذا قال العلامة المجلسي: "اعلم أنَّ الذي استفاض عن الأئمَّة هو نفي الجبر والتّفويض وإثبات أمر بين الأمرين"[٧٣]، بيد أنَّ الأشعرية مضت إلى القول بالجبر، ومفاده أنَّ الله تعالى أجبر

٧١ الكاشاني, محمد بن المرتضى .المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء, تحقيق. علي أكبر الغفاري, ط٢ بيروت: مؤسسة الأعلمي, (١٩٨٣), ٥/ ٢٤٢.

٧٢ القمي, عيون أخبار الرضا ﷺ, ١/ ١٠٣.

٧٣ المجلسي, محمد باقر. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار, تحقيق. عبد الزهراء العلوي وآخرين, ط١ بيروت: دار الوفاء, (١٩٨٣), ٥/ ٨٢.

عباده على ما يفعلونه، خيرًا كان أم شرًّا، وحسنًا كان أم قبيحًا، وليس لهم اختيار في ذلك[٧٤]، ومضت المعتزلة إلى عكس مقالتهم، فقالوا بالتفويض، الذي يعني أنَّ الله تعالى فوّض عباده في أفعالهم، يفعلون ما يشاؤون استقلالًا، وليس لله تعالى على أفعالهم سلطان[٧٥]. غير أنَّ الذي في كلام أبي الحسن ﷺ حديث عن تفويضٍ مخصِّصٍ آخر، وهو أن يكون التفويض منوطًا بالأئمة، وكلّ ذلك من العقائد المرفوضة عندهم ﷺ، ومن ثم هو من القيم المستقبحة التي أنبأ بها ما يفيد به الموضع الحجاجي الخارجي المتناظر (القائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك)، وهو ما يعني اختزالًا حجاجيًّا، يُوكّل فيها إلى المتلقِّي تحديد القيمة العقائدية المرفوضة بشكل ارتدادي من الموضع الكيفي إلى القيمة، ومن بعدُ إلى النتيجة، التي يراد له أن يكون مشاركًا في إنتاجها، ويمكن وضع الفعل الحجاجي الأوَّل بالصورة الآتية:

ح: الجبر: يستلزم الكفر.

ضو: كلُّ جبرٍ يستحق التجنب.

ن: تجنّبِ الجبرَ الذي يستلزم الكفر.

ويناظر هذا الفعل الحجاجي الفعل الآخر، على الصورة الآتية:

ح: التفويض: يستلزم الإشراك.

ضو: كلُّ تفويضٍ للأئمة ﷺ يستحق التجنب.

ن: تجنبِ التفويض للأئمة ﷺ الذي يستلزم الإشراك.

وعندي أنَّ هذين الفعلين الحجاجين المتناظرين المنطويين على قيمتين مستقبحتين؛ يفضيان إلى فعل حجاجي مضمر ذي قيمة مستحسنة، هي (الاعتدال)، التي تقع

٧٤ العسكري, مرتضى . المصطلحات الإسلامية, عناية. سليم الحسني, ط١ بيروت: المجمع العالمي لأهل البيت, (٢٠١٠), ١٤٨.

٧٥ العسكري, ١٤٨.

بين تينك القيمتين، على النحو الآتي:

ح: الاعتدال: يستلزم الهدى.

ضو: كلُّ اعتدالٍ يستحق الالتزام.

ن: التزمِ الاعتدالَ الذي يستلزم الهدى.

وهذا الموضع الكيفي[٧٦] الذي يتساند مع قيمة (الاعتدال) ويتماهى معها؛ هو موضع أضافه "جين جاك روبريو"، يدعم التوسُّط ويقوِّي سلطان العقل في طرح الدعاوى المختلفة[٧٧]، والحقيقة أنَّه لم تُستحسن القيم الخلقية، بصورة عامَّة، إلَّا لاعتدالها من غير إفراط أو تفريط، كالجود والشجاعة والاقتصاد وسائر الفضائل[٧٨]، وقد كان الأقدمون يتمدَّحون إحراز القدر المعتدل من كلِّ شيء، قال الجاحظ: "وإنَّما الشأن في إصابة القدر"[٧٩]، ومن هنا يكون الاعتدال عمومًا أمرًا حجاجيًّا يتطلَّب الإذعان الطوعي.

ومن الجدير بالذكر أنَّ خطابه ﷺ هنا كان جوابًا عن سؤال، أي أنَّه جزء من مقطع حواريٍّ، والحوار "أنجع سبيل ينتهجها مرسل الخطاب لدراسة حجج مخاطبيه، ومواقفهم، بطريقة مقبولة تمنح حجاجه في النهاية النفاذ والمصداقية، وهما أمران لا يتمّان إلَّا عن طريق الحوار المؤسَّس على الاحترام والحقيقة البعيد عن القسر والاحتيال"[٨٠]، زد على ذلك أنَّ كلام المخاطِب ﷺ، في تلك الحوارية الرفيقة بمتلقيه؛ يوصف بحجاج السلطة[٨١]، وذلك لما تكون لصاحبه، على متلقيه، من طاعة نافذة لا تردّ؛ فهم يعتقدون بإمامته الشرعية، ولا يفوتنا أنَّه في كلامه كان

٧٦ مشبال, خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ- مقاربة بلاغية حجاجية, ١٩٥.

٧٧ مشبال, ٧٠.

٧٨ مشبال, ٧٠.

٧٩ الجاحظ, أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب. البيان والتبيين, ط١ بيروت: دار ومكتبة الهلال, (١٤٢٣هـ), ١/ ١٩٣.

٨٠ محمد ولد الأمين, حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة, ط١ طرابلس: المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر, (٢٠٠٤), ١٩.

٨١ صولة, في نظرية الحجاج- دراسات وتطبيقات, ١٥٢.

يعارض (الأنموذج العقائدي المضاد)، وينهض بـ (الأنموذج العقائدي) المؤسِّس على بنية الواقع الذي يُراد له التخريب.

ومن القيم المستقبحة أيضًا (التَّهْلُكة) التي في قوله ﷺ للمأمون العباسيّ، لما عرض عليه ولاية العهد، فأبى **"فغضب المأمون: ثمَّ قال: إنَّك تتلقاني أبدًا بما أكرهه وأمنتَ سطوتي، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتُك على ذلك، فإن فعلتَ وإلا ضربتُ عنقك، فقال الرضا ﷺ: قد نهاني الله عزّ وجلّ أنْ أُلقيَ بيدي إلى التَّهْلُكَة فإن كان الأمرُ على هذا فافعلْ ما بدا لك..."**[٨٢]. وإنَّما كانت (التهلكة) مستقبحة، في مثل هذا المورد؛ لأنَّها عمل قبيح متى ما كان إلى النجاة سبيل، وهذه القيمة السالبة تستمد حجاجيّتها من حجة السلطة أيضًا، فهي تحيل بصراحة إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ (البقرة: ١٩٥)، ويخطر لي أن تسليح هذه القيمة بحجة السلطة ما كان إلا إغاظةً للمأمون حتَّى يدعه وشأنه، وتقتضي هذه التقنية حجاجيًّا أن "يلجأ المتكلم إلى التوسُّل بإغاظة المخاطَب قصدَ التأثير في موقفه من الدعوى، أي أنَّ المعوَّل عليه في هذا الأسلوب هو تحريض المخاطَب ضد الدعوى، من خلال استثارة مشاعر الغضب والغيظ"[٨٣]، وهذا تأويل قد يكون مقبولًا حجاجيًّا وقد لا يكون، وكذلك هو الحجاج محتمل غير قطعيّ، و"النصوص عند التأويليين فضلًا عن أنَّها غير محدَّدة الدلالة... تظلّ أيضًا غير مستقلَّة عن ضرورات القراءة والإضافة"[٨٤]. ويمكن وضع الفعل الحجاجي على النحو الآتي:

ح: التهلكة: عمل منهيٌّ عنه.

ضو: كلُّ تهلكةٍ أهل لأن تُتجنب.

٨٢ القمي, عيون أخبار الرضا ﷺ, ٢/ ٣٤٨.

٨٣ رشيد الراضي, الحجاج والمغالطة – من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار, ط١ (بيروت: دار الكتب الجديدة المتحدة, ٢٠١٠), ٣٠–٣١.

٨٤ الأمين, حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة, ٢٤.

ن: تجنبِ التهلكةَ التي تستلزم الوقوع في (قتل الإنسان نفسه) المنهي عنه.

وقد ساعد استدعاء الموضع الكمّيّ الخارجي (كل تهلكة أهل لأن تُتجنب) هذه القيمةَ السالبة في العبور إلى هذه النتيجة ومررها، فحققّت تواصلًا ممكنًا، إذ "لا وجود لتواصل ممكن في غياب القيم، فالرابط الاجتماعي لا يكون إلَّا إذا أحيينا القيم الضمنية بطرحها وتأويلها"[٨٥]. ومثل هذه القيم المستدعاة في كلام أبي الحسن عليه السلام كثير[٨٦]، وقد جرت في كلامه عليه السلام بقصد التأثير في متلقيه؛ لإبداء رفضه واستقباحه لها، ومن بعدُ ليس له إلا أن يكون مسايرًا للفعل الحجاجي حتَّى نتائجه المتوخَّاة.

الخاتمة ونتائج البحث:

بعد هذه المباحثة في استدعاء قيم الاستحسان وقيم الاستقباح، والمواضع الحجاجيَّة الداعم لها والضامنة لحركة الفعل الحجاجيّ؛ يمكن أن نجمل نتائجها بما يأتي:

١ _ ظهر في خطابه عليه السلام استناد واضح إلى استدعاء المشترك، قيمًا ومواضعَ، وهو ما يعني الاستناد إلى كلِّ ما يشكل محلَّ اتفاق بين طرفي الخطاب، بوصفه اشتراطًا عامًّا، وهذا الاشتراط له سلطة على نفوس متلقِّيه، والنفس تذعن أبدًا لما تعلّقت به واعتادته من مواضعات مشتركة وتنفر من ضدّه، وقد تجلّى أيضًا أنَّ "المتلقي الكوني" مرتقب في خطاب الإمام عليه السلام، حتى ولو كان محتمل الوجود أو نادرًا أو متعذِّرًا، انطلاقًا من مسؤوليته الشرعية الكونية، وقد استدعى قيمًا دينية وأخلاقية بصورة واسعة، مدعمة بالمواضع، سواء كان محاورًا أو مناظرًا أو مخبرًا. وكان خطابه يضمر أنموذجًا قيميًّا متسلِّحًا بالمواضع التي تضمن حصوله، وهو تأسيسٌ لحصول

---

٨٥ بروطون, الحجاج في التواصل: فيليب بروطون, ٩٢.

٨٦ القمي, عيون أخبار الرضا عليه السلام, (الغلط) ١/ ١٤٣، (الضلال): ١/ ١٤٤، (البخل): ٢/ ٢٤٠، (الزنى): ٢/ ٣٠٥، (الظلم): ٢/ ٣٠٥، (الفرار): ٢/ ٣٠٥، (التعرب): ٢/ ٣٠٥، (الربا): ٢/ ٣٠٦، (التحاسد: ٢/ ٣٠٨، (السرقة): ٢/ ٣٠٨، (القذف) : ٢/ ٣٠٨...إلخ.

هـذا الأنمـوذج أو تكميـل لمـا لم يكتمـل منـه في الواقـع، وهـو في الوقـت نفسـه يضمـر حجـاج تنفيرٍ مـن أنمـوذج معاكـس أو مضـادّ، أو قـل: هـو حجاج إقصـاء لهـذا الأنموذج المعاكـس الـذي قـد يكـون قـاصرًا أو انتهازيًّـا.

٢_ كثـيرًا مـا تطالعنـا (حجـة السـلطة) لتنهـض بصحـة أطروحـة مـا، وهـي حجـة مكمّلـة لا يُختلـف عـلى نجاعتهـا ونفاذهـا عنـد جمهـور التلقـي، وهـي قائمـة عـلى بنيـة الواقـع، وشـائعة الاسـتعمال في خطابـه، ولا سـيما في الاحتجـاج للعقائـد والأخـلاق. وقـد تُسـتدعى القيـم وتُسـوغ بحجـة أخـرى هـي (التحديـد)، وبهـا يطـرح الإمـام عليه السلام علاقـة تعـادل أو مكافـأة مـن أجـل منـح القيمـة معنـى ليكـون الإقنـاع أفضـل، مـن دون أن يكـون هـذا التحديـد المعـادل أو المكافـئ صارمًـا في حدّيتـه، وهـو لا يعـدو كونـه تقنيـة حجاجيَّـة وظيفتهـا تأكيـد الدعـوى، فهـو إذن، تقنيـة شـبه منطقيـة، هدفهـا جلـب المتلقِّـي إلى سـاحة صاحـب الدعـوى، ولكـن هـذا الاسـتجلاب ليـس عـلى حسـاب الحقائـق البدَهيـة، بـل هـو أحـد وجوههـا الصحيحـة، وليـس بالـضرورة أن يكـون هـو كلَّهـا، وقـد ضمَـن المـرورَ والعبـورَ إلى النتيجـة الموضـعُ الحجاجـي الخارجـي، وإنَّـما كان خارجيًّـا لكونـه اسـتنتاجيًّا، إذ ليـس حتـمًا أن يكـون تعـادل طرفيـه محـط إجمـاع، فهـما لا يقعـان في ضمـن الدائـرة الدلاليـة الواحـدة، وهـذا مـا تفيـده حجـة التحديـد عينهـا.

لا يفوتنـا القـول بـأنَّ مـا قدمنـاه من حجـج داعمة قد يكـون تأويـلًا حجاجيّا مقبـولًا، وربَّما لا يكـون، وكذلـك هـو الحجـاج محتمـل غـير قطعـي، وكذلـك هـي النصـوص عمومًـا عنـد التأويليـين، فهـي أحيانًـا غـير محـددة الدلالـة، فضـلًا عـن أنهـا غـير مسـتقلة عـن ضرورات القـراءة والإضافـة، وعـلى أيـة حـال فقـد جـرت القيـم والمواضـع المسـتدعاة، في خطـاب أبي الحسـن، بقصـد التأثـير في متلقيـه؛ إبـداءً لقبولـه واستحسـانه، أو إبـداءً لرفضـه واسـتقباحه لهـا، ومـن بعـدُ ليـس لـه إلَّا أن يكـون مسـايرًا للفعـل الحجاجـي حتَّـى نتائجـه المتوخـاة، فيكـون مشـاركًا حتـمًا في إعـادة إنتاجهـا.

المصادر:

القرآن الكريم:

ابن جني, أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق محمد علي النّجار. ط٢. عالم الكتب, ٢٠١٠.

الأمين, محمد ولد. حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة. ط١. طرابلس: المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر, ٢٠٠٤.

التوحيدي, أبو حيان علي بن محمد بن العباس. المقابسات. تحقيق حسن السندوبي. ط٢. الكويت: دار سعاد الصباح, ١٩٩٢.

الجاحظ, أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب. البيان والتبيين. ط١. بيروت: دار ومكتبة الهلال, ١٤٢٣هـ.

الحُسني, سامية الدريدي. الحجاج في الشعر العربي – بنيته وأساليبه. ط٢. إربد: عالم الكتاب الحديث, ٢٠١١.

الحُسني, سامية الدريدي .دراسات في الحجاج – قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم. ط١. إربد: عالم الكتاب الحديث, ٢٠٠٩.

الحكيم, محمد تقي. الأصول العامة للفقه المقارن- مدخل إلى دراسة الفقه المقارن. ط١. قم: دار فدك, ٢٠٠٥.

الحنفي, أبو زيد عبيد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي. تقويم الأدلة في أصول الفقه. تحقيق خليل محيي الدين الميس. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠١.

الراضي, رشيد. الحجاج والمغالطة – من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار. ط١. بيروت: دار الكتب الجديدة المتحدة, ٢٠١٠.

الراضي, رشيد. المظاهر اللغوية للحجاج – مدخل إلى الحجاجيات اللسانية. ط١. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي, ٢٠١٤.

الزماني, كمال. "حجاجية القيم في خطبة حجة الوداع." مجلة أبولويس ٦, العدد١. (٢٠١٩).

الطاهر, علي جواد. مقالات الباب الواسع. ط١. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة, ٢٠٠٧.

الطلبة, محمد سالم محمد الأمين. الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر. ط١. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة, ٢٠٠٨.

الطوسي, أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. معيار العلم في فن المنطق. تحقيق سليمان دنيا. ط١. مصر: دار المعارف, ١٩٦١.

العبد, محمد. النص والخطاب والاتصال. ط١. القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب, ٢٠٠٥.

العزاوي, أبو بكر. اللغة والحجاج. ط١. بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة, ٢٠٠٩.

العسكري, مرتضى. المصطلحات الإسلامية. عناية سليم الحسني. ط١. بيروت: المجمع العالمي لأهل البيت, ٢٠١٠.

الفارابي, أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين. معجم ديوان الأدب. تحقيق أحمد مختار عمر. ط١. القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر, ٢٠٠٣.

الفيروزآبادي, مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة وإشراف محمد نعيم العرقسُوسي. ط٨. بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع, ٢٠٠٥.

القمي, أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه. عيون أخبار الرضا ﷺ. ط١. بيروت: دار المتقين, ٢٠١٢.

الكاشاني, محمد بن المرتضى. المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء. تحقيق علي أكبر الغفاري. ط٢. بيروت: مؤسسة الأعلمي, ١٩٨٣.

المجلسي, محمد باقر. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. تحقيق عبد الزهراء العلوي وآخرين. ط١. بيروت: دار الوفاء, ١٩٨٣.

بروطون, فيليب. الحجاج في التواصل: فيليب بروطون. ترجمة محمد مشبال و عبد الواحد التهامي العلمي. ط١. القاهرة: المركز القومي للترجمة, ٢٠١٣.

جمال الدين, مصطفى. الاستحسان، بحوث فقهية وأصولية ونحوية وفلسفية. ط١. بغداد: دار الهادي, ٢٠٠٧.

حمداوي, جميل. أنواع الحجاج ومقوماته- من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة. ط١. إربد: دار ركاز, ٢٠٢١.

شاييم بيرلمان و لوسي أولبرخت تيتكا. المصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة. ترجمة محمد الولي. ط١. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة, ٢٠٢٣.

صبحي, أميمة. حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي. ط١. عمان: دار كنوز المعرفة, ٢٠١٥.

صولة, عبد الله. الحجاج في القرآن – من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. ط١. بيروت: دار الفارابي, ٢٠٠٧.

صولة, عبد الله.في نظرية الحجاج- دراسات وتطبيقات. ط١. تونس: مسكيالياني للنشر والتوزيع, ٢٠١١.

لولو, رشيد. حجاجية المثل في القرآن الكريم. ط١. تطوان: منشورات حمداوي الثقافية، مطبعة الخليج العربي, ٢٠١٧.

مزيان, فريدة. "- الحجاج بالعواطف في الخطاب الإشهاري." مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية ٨, العدد٢. (٢٠٢٣).

مشبال, محمد. خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ- مقاربة بلاغية حجاجية. ط١. عمان: دار كنوز المعرفة, ٢٠١٥.

مصيلحي, عبد الفتاح بن محمد. جامع المسائل والقواعد في علم الأصول والمقاصد. ط١. المنصورة: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع, ٢٠٢٢.

References

The Glorious Qur'an

Ibn Jinni, A. F. O. (2010). Al-Khasa'is. (M. A. al-Najjar, Ed.). (2nd ed.). 'Alam al-Kutub.

Al-Amin, M. W. (2004). Hijjajiyyat al-Ta'wil fi al-Balaghah al-Mu'asirah. (1st ed.). Tripoli, Libya: Al-Markaz al-'Alami li Dirasat wa Abhath al-Kitab al-Akhdar.

Al-Tawhidi, A. H. A. (1992). Al-Muqabasat. (H. al-Sandubi, Ed.). (2nd ed.). Kuwait: Dar Su'ad al-Sabah.

Al-Jahiz, A. U. A. (1423H). Al-Bayan wal-Tabyin. (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar wa Maktabat al-Hilal.

Al-Husni, S. D. (2011). Al-Hijjaj fi al-Shi'r al-'Arabi – Binyatuhu wa Asalibuh. (2nd ed.). Irbid, Jordan: 'Alam al-Kitab al-Hadith.

Al-Husni, S. D. (2009). Dirasat fi al-Hijjaj – Qira'ah li Nusous Mukhtarah min al-Adab al-'Arabi al-Qadim. (1st ed.). Irbid, Jordan: 'Alam al-Kitab al-Hadith.

Al-Hakim, M. T. (2005). Al-Usoul al-'Ammah lil-Fiqh al-Muqaran – Madkhal ila Dirasat al-Fiqh al-Muqaran. (1st ed.). Qom, Iran: Dar Fadak.

Al-Hanafi, A. Z. O. (2001). Taqwim al-Adillah fi Usoul al-Fiqh. (Kh. M. al-Mayyis, Ed.). (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Radi, R. (2010). Al-Hijjaj wal-Mughalatah – min al-Hiwar fi al-'Aql ila al-'Aql fi al-Hiwar. (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Jadidah al-Muttahidah.

Al-Radi, R. (2014). Al-Madahir al-Lughawiyyah lil-Hijjaj – Madkhal ila al-Hijjajiyyat al-Lisaniyyah. (1st ed.). Casablanca, Morocco: Al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi.

Al-Zamani, K. (2019). "Hijjajiyyat al-Qiyam fi Khutbat Hajjat al-Wada'." Majallat Abulwis, 6(1).

Al-Tahir, A. J. (2007). Maqalat al-Bab al-Wasi'. (1st ed.). Baghdad, Iraq: Dar al-Shu'un al-Thaqafiyyah al-'Ammah.

Al-Talaba, M. S.(2008). Al-Hijjaj fi al-Balaghah al-Mu'asirah – Bahth fi Balaghat al-Naqd al-Mu'asir. (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahidah.

Al-Tusi, A. H. M. (1961). Mi'yar al-'Ilm fi Fan al-Mantiq. (S. Donia, Ed.). (1st ed.). Egypt: Dar al-Ma'arif.

Al-Abd, M. (2005). Al-Nass wal-Khitab wal-Ittisal. (1st ed.). Cairo, Egypt: Al-Akadimiyyah al-Hadithah lil-Kitab.

Al-Azawi, A. B. (2009). Al-Lughah wal-Hijjaj. (1st ed.). Beirut, Lebanon: Mu'assasat al-Rihab al-Hadithah.

Al-Askari, M. (2010). Al-Mustalahat al-Islamiyyah. (S. al-Hasani, Ed.). (1st ed.). Beirut, Lebanon: Al-Majma' al-'Alami li Ahl al-Bayt.

Al-Farabi, A. I. I.(2003). Mu'jam Diwan al-Adab. (A. M. 'Umar, Ed.). (1st ed.). Cairo, Egypt: Mu'assasat Dar al-Sha'b lil-Sahafah wal-Tiba'ah wal-Nashr.

Al-Fairuzabadi, M. D. A. T. (2005). Al-Qamus al-Muhit. (Maktab Tahqiq al-Turath fi Mu'assasat al-Risalah & M. N. al-'Irqasousi, Eds.). (8th ed.). Beirut, Lebanon: Mu'assasat al-Risalah lil-Tiba'ah wal-Nashr wal-Tawzi'.

Al-Qummi, A. J. M. (2012). 'Uyun Akhbar al-Rida. (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Mutaqqin.

Al-Kashani, M. b. al-M. (1983). Al-Mahajjah al-Bayda' fi Tahdhib al-Ihya'. (A. A. al-Ghaffari, Ed.). (2nd ed.). Beirut, Lebanon: Mu'assasat al-A'lami.

Al-Majlisi, M. B. (1983). Bihar al-Anwar al-Jami'ah li Durar Akhbar al-A'immah al-Athar. (A. al-Z. al-'Alawi et al., Eds.). (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Wafa'.

Breton, P. (2013). Al-Hijjaj fi al-Tawasul. (M. Mashbal & A. al-W. al-Tihami al-'Ilmi, Trans.). (1st ed.). Cairo, Egypt: Al-Markaz al-Qawmi lil-Tarjama.

Jamal al-Din, M. (2007). Al-Istihsan, Buhuth Fiqhiyyah wa Usouliyyah wa Nahwiyyah wa Falsafiyyah. (1st ed.). Baghdad, Iraq: Dar al-Hadi.

Hamdawi, J. (2021). Anwa' al-Hijjaj wa Muqawwimatuh - min Hijjaj Aristu ila Hijjaj al-Balaghah al-Jadidah. (1st ed.). Irbid, Jordan: Dar Rikaz.

Chaim Perelman and L. Olbrechts-Tyteca. (2023). Al-Musannaf fi al-Hijjaj - al-Khitabah al-Jadidah. (M. al-Wali, Trans.). (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahidah.

Subhi, U. (2015). Hijjajiyyat al-Khitab fi Ibda'at al-Tawhidi. Amman, Jordan: Dar Kunuz al-Ma'rifah.

Soula, A. (2007). Al-Hijjaj fi al-Qur'an – min Khilal Aham Khasa'isih al-Aslubiyyah. (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Farabi.

Soula, A. (2011). Fi Nazariyyat al-Hijjaj - Dirasat wa Tatbiqat. (1st ed.). Tunis, Tunisia: Muskialiani lil-Nashr wal-Tawzi'.

Loulou, R. (2017). Hijjajiyyat al-Mathal fi al-Qur'an al-Karim. (1st ed.). Tetouan, Morocco: Manshurat Hamdawi al-Thaqafiyyah, Matba'at al-Khalij al-'Arabi.

Mazyan, F. (2023). "- Al-Hijjaj bil-'Awatf fi al-Khitab al-Ish'ari." Majallat al-Risalah lil-Dirasat wal-Buhuth al-Insaniyyah, 8(2).

Mishbal, M. (2015). Khitab al-Akhlaq wal-Hawiyyah fi Rasa'il al-Jahiz - Muqaraba Balaghiyyah Hijajiyyah. (1st ed.). Amman, Jordan: Dar Kunuz al-Ma'rifah.

Musaylihi, A. F. b. M. (2022). Jami' al-Masa'il wal-Qawa'id fi 'Ilm al-Usoul wal-Maqasid. (1st ed.). Mansoura, Egypt: Dar al-Lu'lu'ah lil-Nashr wal-Tawzi'.